كتاب الأضداد

تأليف

محمد بن القاسم الأنباري

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

كتاب الأضداد

تأليف

محمّد بن القاسم الأنباري

تحقيق

محمّد أبو الفضل ابراهيم

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

كتاب الأضداد

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع
المكتبة العصرية

صيدا - تلفون : ٧٢١٦١٢ - ٧٢٠٣١٧
بيروت - تلفون : ٢٣٧٥٤٥
ص.ب بيروت : ٨٣٥٥ - ص.ب صيدا : ٢٢١
تلكس : LE ٢٠٤٣٧ - ٢٩١٩٨ SCS

تصدير

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

هـــذا هو الكتاب الثانى في سلسلة التراث العربى التى تصـــدرها دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت .

وهو يدور حول الألفاظ التى تحتمل معنيين متضادين في اللغة العربية . وهذا الضربُ من الألفاظ يدلّ على عبقرية اللغة في إعطاء الألفاظ الواحدة وجوهاً مختلفة من المعانى تُفهم بسياق العبارة ومناسبة الكلام .

وقد كثرت هذه الألفاظ في لغتنا وشاعت في الشعر والنثر والأمثال ، حتى أصبح عرفانها ضرورة ، لا تكمل معرفة اللغة إلا بمعرفتها ، فكان لا بُدّ من الرجوع فيها إلى كتاب يجمعها ويبيّن تضادّ معانيهـــا ويورد الدلائل والشواهدعليها .

ولعل كتاب الأنبارى هذا من أحاسن ما ألّف في هذا الموضوع لغزارة مادته ، وكثرة شواهده ، وسعة علم مؤلّفه .

وقد عُنِى الأستاذ أبو الفضل ابراهيم — مدير الشؤون المكتبية بدار الكتب بالقاهرة — بتحقيقه أحسن عناية . فهو من فرسان هذا الميدان . سبق أن حقق كثيراً من الكتب الأصول القديمة : كأمالى المرتضى ، وإنباه الرواة للقفطى ، والبرهان في علوم القرآن للزركشى ، وديوان امرئ القيس برواية السكّرى ، وطبقات اللغويّين والنحويين للزبيدى ، ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، كما شارك علماءَ آخرين في تحقيق المُزهر للسيوطى ، والفائق للزمخشرى ، والصناعتين للعسكرى ، والوساطة للجرجانى . وهذه الكتب أحسن دليل على فضل المحقق وما بذله من جهود لإحياء آثار العرب .

ولعل علماء اللغـــة ودارسيها ، يجدون في هذه الطبعة الجيدة الأنيقة ، ما يرغبون ويحبّون . والفضل في هـــذا لدائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت ولجهودها المشكورة في مجالات الثقافة النافعة .

القاهرة
جامعة الدول العربية

صلاح الدين المنجد

مقدمة المحقق

يقصد بالأضداد في اصطلاح اللغويّين الكلماتُ التى تؤدى إلى معنيين متضادّين بلفظ واحد ؛ ككلمة « الجون » تطلق على الأسود والأبيض ، و« الجلل » تطلق على الحقير والعظيم، وهكذا .

وقد كانت الأضداد — وما زالت — بهذا المعنى ، مرادا للقول عند الباحثين ، وموضعا للجدل عند العلماء والدارسين ؛ فمنهم من قال بإمكان وقوعها ، وعدّ وضعَها في مألوف القوانين اللغوية ، والمواضعات الاصطلاحية ؛ — وذلك لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية — وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير ؛ من هؤلاء الأصمعيّ وأبو عبيدة والسجستانىّ وابن السكّيت وقُطْرب وابن الأنبارىّ وغيرهم ؛ كما يبدو ذلك واضحا من مصنّفاتهم وآرائهم المنتثرة في كتب اللغة والأدب.

ومنهم من أنكر هذه الأضداد إنكارا عنيفا ، وأبطلها إبطالا تاما ؛ وتأوّل ما ورد منها في اللغة ونصوص العربية ؛ وأشهر من أعلن هذا الرأى ابن درستويه ؛ فإنه ألف كتابا أسماه « إبطال الأضداد » وذهب إلى جَحْد الأضداد جميعها(١) .

ومنهم من قال بوجود الأضداد ، إلا أنهم عدوها منقصةً للعرب ، ومثلبة من مثالبهم ؛ واتخذوها دليلا على نقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ؛ وزعموا أن ورودها في كلامهم ، كان سببا في كثرة الالتباس عند المحاورة

---

(١) المزهر ١ : ٣٩٦

وإدارة الخطاب ؛ وهؤلاء هم الشعوبية أو من كان يسميهم ابن الأنبارى «أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب». [1]

وقد جرّد ابن فارس من هذه الآراء كتابا ؛ ذكر فيه ما احتجّ به كلّ فريق على فريق ؛ وإن كان هذا الكتاب لم يصل إلينا فيما وصل من كتب ابن فارس ؛ إلا أنه أشار إليه في كتابه « فقه اللغة » [2]

وقديما حاول العلماء حصر هذه الكلمات وجمعها من كلام العرب فيما شعروا ونثروا ، وفيما ورد منها في القرآن والحديث؛ ثم أفردوها بالتأليف والتصنيف ؛ وأصبحت هذه الكتب مصدرا أصيلا من مصادر المعجمات ، وموردا لطلاب المعانى في القرآن والحديث والشعر .

وقد حظيت هذه المؤلفات بكثير من العناية في النشر والتحقيق ؛ فقام الدكتور أوغست هفنر بنشر كتب الأضداد للأصمعى والسجستانى وابن السكيت والصغانى ؛ وطبعت هذه المجموعة طبعة علمية جيدة في بيروت سنة ١٩١٣ .

كما نشر الأستاذ هانس كوفلر كتاب أبى على محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، في مجلة إسلاميكا (المجلد الخامس) سنة ١٩٣١ .

ثم نشر محمد آل يس كتاب أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان ؛ ضمن مجموعته المعروفة بنفائس المخطوطات ، وطبعت في النجف سنة ١٩٥٢ .

ونقل السيوطى أن ممن ألف في ذلك أيضا التوّزىّ وأبو البركات بن الأنبارى [3] ؛ وإن كان لم يقع لنا شيء من هذين الكتابين .

هذا عدا الفصول التى وردت في كتاب الجمهرة لابن دريد ، والغريب المصنّف لأبى عبيد ، والمخصّص لابن سيده ، وفقه اللغة للثعالبى ، وديوان الأدب للفارابى .

---

(١) الأضداد ص ٣

(٢) فقه اللغة لابن فارس ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) المزهر ١ : ٣٩٧

ولكنّ أعظم هذه الكتب خطرا، وأوسعها كلما، وأحفلها بالشواهد، وأشملها للعلل؛ هو كتاب أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى، فإنه أتى على جميع ما ألّف قبله وأربى عليه، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن؛ في كثرة بالغة، وإسهاب كثير، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة، واطراد التنسيق وسهولة الأسلوب؛ وأعانه على كلّ ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته؛ ووضوح الفكرة في عقله؛ مع دقة التعليل وقوة الحِجَاج؛ ثم استطرد لشرح الشواهد شرحا أبان فيه المعنى الدقيق؛ وكشف النقاب عن اللفظ الغريب. وقدم لكتابه ببحث ضافٍ شامل؛ انتصر فيه للعرب فيما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد؛ وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا؛ وعلّل كلّ ذلك تعليلا دقيقا أمينا؛ وبكل هذا عدّ كتاب ابن الأنبارى أشمل كتاب وأوفاه في هذا الموضوع.

*

والمؤلف هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأنبارىّ.

ولد في بغداد يوم الأحد، لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ونشأ في كنف أبيه القاسم؛ وكان أحد أعلام الأدب في عصره؛ وممن عاناه تأليفا وإملاء؛ وأخذ عن أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، وكان أنجب طلابه وألمعهم، كما أخذ عن إسماعيل القاضى وأبى العباس الكديمىّ وأحمد بن الهيثم البزاز وطبقتهم؛ ولم يلبث أن أصبح إماما في اللغة والنحو والأدب والتفسير؛ وعدّ من أعلام الطبقة السادسة من النحويين الكوفيين أصحاب ثعلب – على ما ذكره الزبيدى في طبقاته[1] – من أضراب أبى موسى الحامض

(١) طبقات اللغويين والنحويين ١٦٨ – ١٧٢

و هارون الحائك ، ونفطويه ، وكيسان .

ثم أملى في المساجد ، واشتغل بالتصنيف ، واتصل بالخلفاء من بنى العباس، وعلى الخصوص الخليفة الراضى – يعلّم أولادهم ويؤدّبهم .

وكان كما يقول ابن النديم « في نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة وسرعة الحفظ ؛ وكان مع ذلك ورعا من الصالحين ، لا يعرف حرمة ولا زلّة، وكان يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب » (١) .

وتحدث عنه الأزهرى في مقدمة كتابه التهذيب ، فقال : « كان واحد عصره ، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله ، وله مؤلفات حسان في علم القرآن، وكان صائنا لنفسه ، مقدّما في صناعته ، معروفا بالصدق ، حافظا حسن البيان ، عذب الألفاظ ، لم يُذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها من يخلفه أو يسدّ مسدّه »(٢) .

وقال أبو علي القالى: «إنه كان يحفظ ثلاثمائة بيت شاهدا في القرآن ، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها» (٣).

وكتابه أكبر شاهد على وفرة محفوظه .

ويبدو أنه لم يكن يدع لغير العلم والمعرفة سلطانا عليه ، ذكروا أن جارية سألته عن تعبير رؤيا ، فقال : أنا حاقن، ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرمانى في التعبير ؛ وجاء من الغد وقد صار معبّرا للرؤيا (٤).

ووهب له الراضى جارية حسنة كاملة الوصف، فلما صارت إليه اشتغل قلبه بها ، فاختلفت عليه مسألة كان يطلبها ، فقال للخادم : ردّها ، فليس

(١) الفهرست ٧٥
(٢) مقدمة التهذيب ص ٧٠ ، ٧١
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٣٠٧
(٤) المصدر السابق ١٨ : ٣٠٧

قدرها أن تشغل قلبي عن علمي . فلما بلغ الراضى أمره قال : لاينبغى أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل(١) .

وكانت حلقته في المسجد من أحفل الحلقات وأملئها بأعيان الوزراء والكتاب والأشراف، وكان في جميع ما ألّف يملي من حفظه لا من كتاب.

وكان مع علمه وحفظه رقيقا متواضعا ، نقل الخطيب عن أبي الحسن الدارقطني أنه حضره في مجلس أملاه يوم جمعة ، فصحّف اسما أورده في إسناد حديث .

قال أبو الحسن : فأعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وجلالته وَهْم ؛ وهبته أن أوقفه على ذلك ، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملى ، وذكرت له وهمَه ، وعرّفته صواب القول فيه وانصرفت .

ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه ، فقال أبو بكر للمستملى: عرّفْ جماعة الحاضرين أنّا صحّفنا الاسم الفلانى لمّا أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونَبّهنَا ذلك الشابّ على الصواب، وهو كذا ، وعرّفْ ذلك الشاب؛ أنا رجعنا إلى الأصل ، فوجدناه كما قال (٢).

وكان أيضا — إلى علمه باللغة وبصَره بالشعر وفقهه لمعانى القرآن — من كتّاب الأخبار والأقاصيص ، مشغوفا بتصوير الشخصيات عن طريق القصص الأخلاقيّ والوصفيّ والفكاهيّ ؛ وفي أمالى أبى على القالى الكثير من هذه الأقاصيص .

وكان شاعرا ؛ وشعره شعر العلماء ؛ ذكر منه ياقوت :

إذا زيدَ شرّاً زاد صبْرا كأنمـــا   هو المسك ما بين الصلاَيَة والفِهْرِ
فإنّ فتيت المسك يزداد طيبُــــه   على السحْق والحرّ اصطبارا على الضرّ

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٠٥
(٢) تاريخ بغداد ٣ : ١٨٣

وتوفي بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتأليف والإملاء سنة ٣٢٧ .

وله من المؤلفات :

١ ــ أدب الكاتب ، ذكره ابن النديم وياقوت .

٢ ــ الأضداد ؛ وهو هذا الكتاب .

٣ ــ الأمالى ، ذكره ياقوت .

٤ ــ الألفات ، ومنه نسخة بمكتبة لالهلى .

٥ ــ إيضاح الوقف والابتداء ، ومنه نسخ مخطوطة في بلدية الإسكندرية وسليم أغا والأحمدية بحلب ، وكبريلى والأوسكريال .

٦ ــ الردّ على من خالف مصحف عثمان ، ذكره ياقوت .

٧ ــ الزاهر في معانى الكلمات التى يستعملها الناس في صلاتهم ودعائهم وتسبيحهم ؛ ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كبريلّى . واختصره الزجّاجى ، ومن هذا المختصر نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

٨ ــ السبع الطوال ، وسماها ياقوت « شرح الجاهليات » ، ومنه نسخة خطية بمكتبة نور عثمانية . وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية مختصرة منه ، ونشر في مجلة الشرقيات معلقة زهير من هذا الشرح .

٩ ــ شرح المفضليات ، وطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين .

١٠ ــ ضمائر القرآن ، ذكره صاحب كشف الظنون ؛ ونقل عنه البدر الزركشى في البرهان .

١١ ــ غريب الحديث ؛ ذكره ابن النديم ، وقال ابن خلكان : « قيل إنه خمس وأربعون ألف ورقة » ، وذكره ابن الأثير في مقدمة كتابه النهاية.

١٢ ــ الكافي في النحو ، ذكره ابن النديم وياقوت ، وقال ابن خلكان: هو نحو ألف ورقة .

١٣ ـ اللامات ، ذكره ابن النديم وياقوت .

١٤ ـ المجالس ، ذكره القفطى وسماه ياقوت « المجالسات » .

١٥ ـ المذكر والمؤنث ، ومنه نسخة خطية بالفاتح ، وشهيد على ، وعاطف ، ولا له لى .

١٦ ـ مسائل ابن شنبوذ ، ذكره ابن النديم وياقوت .

١٧ ـ المشكل في معانى القرآن ، ردّ فيه على ابن قتيبة وأبى حاتم ، ذكره ابن النديم وياقوت وابن خلكان .

١٨ ـ المقصور والممدود ، ذكره ابن النديم وياقوت والقفطى .

١٩ ـ الهاءات في كتاب الله عزّ وجلّ ، ومنه نسخة مخطوطة في باريس .

٢٠ ـ كتاب الهجاء ، ذكره ابن النديم وياقوت والقفطى .

٢١ ـ الواضح في النحو ، ذكره ابن النديم وياقوت .

وعمل عدة من دواوين الشعراء ، ذكر منهم ابن النديم ، زهيرا ، والنابغة الذبيانى ، والأعشى ، والجعدى ، والراعى .

*

وكتاب الأضداد سبق أن قام بنشره الأستاذ هوتسما في ليدن ١٨٨١ ، في طبعة علمية جيدة ، ووضع له فهارس منوعة ، وعُنى بإخراجه عناية مشكورة ، ثم عن هذه الطبعة نشرت في مصر سنة ١٣٢٥ ، طبعة لم تخل من الخطأ والتحريف .

وقد اقترح علىّ الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن أحقق الكتاب نظرًا لفقدان مطبوعة أوروبة من ناحية ، وقيمة الكتاب من ناحية ثانية ، ويسّر لى الاطلاع على نسخة نفيسة مصورة عن الأصل المخطوط بليدن محفوظة في معهد المخطوطات ، وهى النسخة التى رجع إليها الأستاذ هوتسما حين نشر هذا الكتاب .

وهى نسخة جيدة مضبوطة بالشكل الكامل ، كتبها محمد بن سنجر الخازندار

المعظمىّ في غرة شهر شعبان المبارك سنة اثنتين وخمسين وستمائة ؛ نقلها من خط مؤلفها .

ويبدو أنه كان من الكتاب المحسنين ، لعنايته بقواعد النسخ وضبط الكلمات .

وبحواشيها بعض تعليقات لأحد العلماء ممن تملكوا النسخة ؛ كما أثبت في عدة مواضع منها معارضتها بالأصل .

وبأولها توقيع العلامة ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم) صاحب وفيات الأعيان . ومطالعة للعلامة محمد بن خليل الصالحى الحنفى ، وتملك للنسخة مؤرخ سنة ٨٨٥ ؛ باسم يحيى بن حجى الشافعى .

وتقع في ٤١ لوحة ، ومسطرتها ٢١ سطرا ، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر أحد عشر كلمة .

وقد اعتمدت هذه النسخة أصلا لنفاستها وجودتها ، ثم عارضت النصوص التى نقلها المؤلف عن الأصمعى والسجستانى وقطرب ؛ بكتبهم الموضوعة في هذا الموضوع ، كما رجعت الى المؤلفات الأخرى في الأضداد ، والفصول المذكورة في كتب اللغة والمعاجم ؛ وخرّجت ماورد من الشعر عن الدواوين والأصول من كتب الادب ؛ وشرحت ما عنّ لى شرحه في سهولة ويسر ؛ كل ذلك على حسب ما ورد في قواعد نشر النصوص التى وضعها معهد المخطوطات ، وحسب ما وسعنى الجهد وأمكنتنى الطاقة ؛ ومايسرّ الله لى من العون والتوفيق .

القاهرة

محمد ابو الفضل ابراهيم